# القضايا الاسلامية فى فكر الدكتور مصطفى محمود دراسة تحليلية

الباحث / محمد عبدالبديع ابو هاشم محمد

لدرجة الماجستير بقسم اللغة العربية تخصص الدراسات الاسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ...

ففي هذا العصر الحديث ظهر مفكرون جدد، كانت لهم جهودٌ عظيمةٌ في بعض القضايا الإسلامية، محاولين من خلالها الموازنة بين قضايا الإسلام والحضارة، وتجديد الفكر الإسلامي والمعاصرة، إلا أنهم أعملوا في تلك القضايا عقولهم، وحكّموا فيها أفكارهم، فوافقوا الصواب في بعضها بينما جانبوه في البعض الآخر.

وكان من أبرز هؤلاء المفكرين الدكتور مصطفى محمود –رحمه الله–، فقد حاز شهرةً عاليةً في تاريخ الثقافة الفكرية والفلسفية والدينية، وذاع صيته بين القراء والكُتّاب بكتاباته في المجال الفكري عامةً، والإسلامي خاصةً، وبين العامة والبسطاء ببرامجه التلفيزيونية، ومشاركاته الإعلامية.

ابتدأ –رحمه الله– حياته بالطب وتخصص فيه، ثم اشتغل بعد ذلك بالفلسفة، وقرأ عددًا لا بأس به من كُتب الفلاسفة حتى تأثّر بهم تأثرًا بالغًا، يبدو ذلك جليًّا في كتاباته ومؤلفاته، كما أن له باعا كبيرا في كتابة القصص والروايات والمسرحيات، إلى أن وصل به الحال للكتابات الإسلامية التي ربط فيها بين العلم العصري الحديث وبين حقائق القرآن الكريم، متميزا في عرضه بالجاذبية العلمية الحديثة مع العمق والبساطة، مما أثمر قيمة الربط بين العنصرين: قضايا الإسلام والعلم الحديث، وأن الإسلام مهما تداولت عليه الأيام، ومرت عليه السنون والأعوام، إلا أن قضاياه وتعاليمه لا تتعارض مع العلم العصري الحديث، الأمر الذي يثبت صلاحية الإسلام في كلّ زمانٍ ومكانٍ، مهما كثُرت الوقائع، وتوالت المستجدات.

على أنه قد ظهرت بعض المناوشات والاختلافات بين الكُتّاب والمفكرين سيما علماء الشريعة على بعض القضايا الإسلامية التي أثارت جدلًا كبيرا في كتابات الدكتور مصطفى محمود –رحمه الله– ، وكثرت الردود عليه في غير حيادية أو إنصاف، مما دعاني إلى القيام بإلقاء الضوء على ما كان في حياة كاتبنا الجليل –رحمهُ الله– من إيجابيات وحسنات عُرف بها، وذُكرت في حقّه بعد موته، مما يبرز قيمة البصمة التي خلّفها في قلوب الناس بعد وفاته، بل

في سماء الفكر العربي عامةً، والإسلامي خاصةً، حتى تأثّر به عددٌ لا بأس به من جمهور المثقفين، داخل مصر وخارجها من أقطار الوطن العربي.

كما أنّني لا أغضُّ الطرف عن بعض السلبيات التي وقع فيها، وجانب فيها الصواب، قاصداً من وراء ذلك أن يتعلم طلاب العلم منها، ويعتبروا بها، ويتجنبوا إياها، فقد يكون معرفةُ السلبيات لتجنبها أقوم من تعلُّم الإيجابيات والالتزام بها.

على أن تلك السلبيات تعدُّ هنات وهفوات أمام إيجابياته الزاخرة، ومنافعه الوارفة التي خلّفها، وأفاد منها القراء والمثقفون، فعندَه من الحسنات ما يغفرها ويزيلُها.

أولا: **أهمُّ إيجابيات الدكتور مصطفى محمود:**

لقد كان للدكتور مصطفى محمود –رحمه الله– وجودٌ مؤثر في حياة القراء والمثقفين، وكانت له بصمةٌ واضحةٌ في ساحة الفكر المعاصر، وكان له نتاجٌ ثريٌّ يربو على الثمانين مؤلفاً، في مجالات متعددة، وأفكار متنوعة، اتّسمت جميعها بالمعاصرة والحيوية، والدفاع عن الفكر والثقافة الإسلامية، كما أنها جمعتْ بين الأصالة والمعاصرة، تناول فيها قضايا إجتماعية، وسياسية ، واقتصادية، وأخلاقية، وفلسفية، وغيرها ... قُدّمت على هيئة مقالات صغيرة، وقصص قصيرة، وروايات هادئة هادفة، ومسرحيات، ورحلات، بالإضافة إلى البرامج التلفزيونية، سيما برنامجه الناجح (العلم والإيمان).

على أن إيجابيات د/ مصطفى محمود –رحمه الله– كثيرةٌ ووفيرة، فقد تناولت منها جزءا على سبيل الإجمال، وآخر على سبيل التفصيل.

**أولا: إيجابيات د/ مصطفى محمود إجمالاً:**

١ . غزارة الثقافة، وعمق البحث العلمي، وسعةُ الأفق، وطولُ ساعات الاطّلاع، مما أهّله للحديث في كلّ فنٍّ أو مجال.

٢. كثرة الرحلات والأسفار، التي جعلته يتعرف على بعض الحقائق العلمية عن طريق المشاهدة، دون الاكتفاء بالقراءة عنها في الكتب، أو سماع المحاضرات[١].

[١]- ينظر في ذلك: فصلين من مذكرات الدكتور مصطفى محمود، للسيد الحراني، الفصل التاسع: رحلاتي ... سواح في دنيا الله، والفصل العاشر: عشتُ بين الشيلوك والدنكا بالسودان. من ص١٢٥ إلى ص١٥٢. دار اكتب بالقاهرة، الطبعة التاسعة ٢٠١٤م.

٣ . شجاعته الأدبيةُ، وفصاحته اللغويةُ، التي أهلته للرد على كلّ من تجاوز الحد، حتى وإن كان مسئولا كبيرا.

٤. قوة العزيمة والإرادة، ومقاومةُ العجز الذي يطرأُ على أيّ إنسانٍ يحولُ بينه وبين وصوله للقمة، أو تحقيق هدفه ومبتغاه، فهذا نموذج إيجابيٌّ لكلّ من يعلّق شماعته على الظروف المادية أو الصحية، فقد قاوم أولئك جميعا، حتى كان له شأنٌ بالوطن العربي أجمع.

٥. الاعتراف بالخطأ، والرجوع عنه[١] ، وعدم التطاول على العلماء، والتأدب مع المخالفين، فكان دائما يقول: "عفا الله عن كلّ من خاض فينا بالباطل"[٢].

**ومن أهم إيجابياته تفصيلاً: دفاعه عن الثقافة والهوية الإسلامية:**

إن من أهم ما يمتاز به كاتبنا –عليه رحمة الله– دفاعه عن الثقافة الدينية، والهوية الإسلامية في شتى مراميها، وعدم تأثُّره بالأفكار الواردة والوافدة من دول الغرب، بالرغم من كثرة رحلاته إلى بلادهم، ودراسته لكتبهم، إلا أنه لم يمل إليهم، ولم يركن إلى قيمهم، ولم يتلوث بأفكارهم، وإنما حافظ على هويته الإسلامية، وثبت عليها، وذب عن حياضها من يحاول طمسها، أو يعمل على تشويهها.

ويظهر ذلك في عدة مواطن:

**أولا: دفاعه عن اللغة العربية في دور التعليم:**

فمن محاسن المواقف التي سجلها التاريخ في حقّ كاتبنا الكريم –وهي كثيرةٌ– موقفه في وجوه العابثين باللغة العربية، المحاولين النَّيل منها، حتى راحوا يجردون منها الساحات، وينزعونها من المدارس والجامعات، إلا أن الكاتب الكريم تصدى لهم، ووقف في وجوههم، وأنكر عليهم أشد نكير.

يقول –رحمه الله– : "هل من حسن التربية ومن حسن التعليم أن ننزل بلغتنا العربية الأولى إلى التساوي باللغة الأجنبية الثانية، من حيث الدرجات؟ وأن يكون علم التاريخ (تاريخنا) مادة اختيارية، ننجح بها وبدونها؟ وأن تكون مادة التربية القومية مادة للقراءة، وليست

[١]- كرجوعه عن الإلحاد الذي عاش فيه ما يربو على الثلاثين سنة. ينظر: رحلتي من الشك إلى اليقين، د. مصطفى محمود ص٢٠٦، ط الأعمال الكاملة، دار العودة – بيروت.

[٢]- الشفاعة، د. مصطفى محمود ص١٥، مكتبة مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

للامتحان؟ ولماذا تلك المهانة لرموز هويتنا وقوميتنا؟ ولماذا كانت وزارة التربية والتعليم تربينا على الجهل بلغتنا وقوميتنا –وهي أعمدة الشخصية والهوية بالنسبة إلينا–؛ فكيف يمكن أن نتصور جريمةً تربويةً أبشع مما تفعله هذه الوزارة بأولادنا؟ ... لقد اختفت اللغة العربية السليمة من التلفزيون ومن الراديو، وأصبح المذيع (يتهجا) النشرة، ويرفع المفعول، وينصب الفاعل، والمسئول الأول هو المدرسة والتنشئة الأولى التي تقازمت إلى أقلّ من كتاتيب زمان.

إن محاولة محو البصمة الإسلامية –لغةً، وحضارة، وقوميةً– هي حقيقةٌ، وأمر شائنٌ أن يحدث تحت عين وإشراف وزيرٍ عربيٍّ، هو وزير التربية والتعليم، الذي هو المسئول الأول عن تشكيل وجدان وذاكرة أولادنا.

إن لغتنا العربية وتاريخنا وقوميتنا وديانتنا هي وجهنا، ولا نقبل أن يطمس أحدٌ هذا الوجه الأصيل المشرق، إنهم حاولوا أيام الاستعمار البريطاني أن يفعلوا هذا، واليوم يحاولون عن طريق البعثات واللجان الأمريكية، والمعونات التي تأتي ومعها توصياتٌ لبرامج ومناهج لتطوير التعليم، وكانت لهم محاولاتٌ لمحو البصمة الإسلامية، وشطب غزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم– ، وهزائم اليهود في خيبر من كُتُب التلاميذ، وتقليص مناهج التاريخ الإسلامي، واختصار مقررات اللغة العربية، وحكاية تجفيف الينابيع، أي: تجفيف ينابيع الدين"[1].

**ثانيا: دفاعه عن الشباب من الغزو الفكري:**

اهتم –رحمه الله– بقضية الشباب المسلم، على أنهم عصب هذه الأمة ومستقبلُها، ورأى –رحمة الله عليه– أن عليهم حربا ضروسا ممنهجةً موجهةً إليهم، وأن الغرب لم يغزهم بالسلاح والقتال بقدر ما يغزوهم فكريًّا وثقافيًّا، عن طريق الإعلام والتلفاز والإنترنت، حيث الأفلام والمسلسلات الهابطة، التي تعمل على مسخ فطرتهم، وتفريغ عقولهم، والتلاعب بغرائزهم وشهواتهم.

[1]- كلمة السر، د. مصطفى محمود ص ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠. دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، بدون. باختصار.

فقال –رحمه الله–: "فالتليفزيون الجيد أصبح تأثيره الآن عكس تأثير الكتاب الجيد، فالكتاب الجيد يحرر الإنسان الذي يقرأه، أما التليفزيون الجيد فيعتقل الإنسان الذي يشاهده، يعتقل جوارحه ويعتقل خياله، ويقيد يديه ورجليه، وسألت نفسي: ترى هل هذه المعتقلات الاختيارية الجديدة التي توضع فيها الشعوب العصرية، حيث يغسل مخّها بالأغاني والرقصات، وأفلام العنف ومشاهدة الجنس، ثم تعبأ بالتوجيهات المطلوبة، والدعايات المرغوبة، وأيّ نوعية من الأجيال الجديدة يمكن أن تخرّجها هذه الجامعات التليفزيونية الأمريكية؟ لا أظنّ أنها يمكن أن تخرج النوعية القديمة من الشباب الذي حارب، وأقام امبراطورية، ولا أظنّ أن الأجيال الجديدة في أوروبا يمكن أن تحارب بحماس من أجل أيّة قضية، فالشباب رخو، مرفّه، وهو بعد عمل مرهق طول الأسبوع لا يفكر إلا في صحبة ممتعة، وحضن دافيء، وكأس مترع يغرق فيها عطلة نهاية الأسبوع، تلك هي فلسفة اليوم التي يعيش لها وبها الشباب.

ولو وقف مصلح اجتماعيٌّ يطالب بإيقاف هذه البرامج اللاهية، وتحويل البرامج التليفزيونية إلى نوعٍ من الجامعة الشعبية، وتحويل الإعلام الاستمتاعي إلى إعلام تربوي، مثل هذا المصلح سوف يواجه بالطوب ومظاهرات الاحتجاج من الجمهور نفسه، جمهور الأغاني، والقبلات، والمسلسلات، والرعب، والدم، والجنس، والكرة، فمثل هذه البرامج أصبحت الآن أفيونة ومصاصة ولبانة، يمضغها المشاهد في تلذذ، ويستمتع بسمومها، وينام على تخديرها، ولم يكن من الممكن انتزاعها منه، إلا باستخدام القوى القهرية، والقوة القهرية سوف تلقي بنا إلى سجن أسوأ، هو الحصار الإعلاميٌّ، الذي يشكو منه النصف الشيوعيٌّ من العالم، فنحن بين نارين، والمأزق يسير نحو حارة سد.

نحن أمام جهاز خطير، يدخل إلى المخادع وغرف النوم، وأمام برامج تصبح من فرط التكرار من قبيل المناهج السلوكية المقرَّرة التي يتشربها الأطفال والشباب، وتسري في دمائهم، مع الشاي والقهوة والسيجارة، وتتحول إلى عادات لا فكاك منها، ثم تتحول إلى سلوك، ثم تصبح طباعا وأنماطا، وملامح عصر".

ثم بحث –رحمه الله– عن حلٍّ لهذه المشكلة، ودواء لهذا الداء العضال، فقال: "ويتساءل المتسائلون: هل من حلٍّ؟ وبرغم من كلّ شيء، وبرغم تحالف الظلمة على هذا العصر، فأنا أرفض العنف كحلٍّ، ولا أؤمن إلا بالوعي والحرية، وإحياء الضمائر، والمناقشة العلنية

المفتوحة، وفتح النوافذ على العيوب، والاعتراف بالنواقص وعلاجها، لا رجوع إلى وراء، ولا رفض لمكتسبات العلم، التليفزيون والسينيما والراديو أدواتٌ محايدةٌ بريئةٌ، وهي علامات تقدُّم، وإنما هي تصبح علامات تأخُّر بما يوضع فيها.

والحلُّ هو ترشيد الإعلام، عن طريق مائدة مستديرة، يدير الحوار فيها حكماء العصر وعقلاؤهم، في محاولة لإقامة مباديء جديدة، للرقابة الوعائية على الكلمة المذاعة، أما عصابات المافيا الجنسيَّة والمخدرات فتحارب بأساليبها"[1].

**ثالثا: ردُّه العلمانيةَ:**

شنَّ –رحمه الله– حربا شديدة على العلمانية، وهاجم كلَّ من نادى بها، وكلَّ من أراد فصلَ الدين عن السياسة، ورأى –رحمه الله– أن العدوان على الروح الدينية في مصر هو هدم للذات المصرية، وتشويه لفطرتها التوحيدية الخالصة.

ومن أبرز دليل على ذلك ردُّه على الأستاذ/ جلال غريب، حين نادى بفصل الدين عن السياسة، فردَّ عليه –رحمه الله– قائلا: "أقول للسيد وزير الثقافة: إن الدين هو الذات المصرية منذ آلاف السنين، منذ أيام التوحيد الخالص، في زمن النبي إدريس –عليه السلام– ، وعبورا بتعدُّدية الآلهة أيام الفراعنة، ثم عودة إلى التوحيد أيام أخناتون، ثم استقرار التوحيد بدخول الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، وطوال هذا التاريخ الموغل في القدم كانت الفنون المصرية، والأشعار المصرية، والعمارة المصرية، والقصص، والأغاني، والرقص الفرعونيُّ؛ كانت جميعها رموزا، وتعبيرات دينية.

الهرم، وأبو الهول، ومئات المسلات التي تشير إلى السماء، والمعابد، والمساجد، والكنائس؛ كلها رموزٌ دينيةٌ، وبعد كلِّ هذا تسألُ ياسيادة الوزير في حرم مجلس الشعب وتقول: ما شأن الدين بالثقافة؟ وأنا أتساءل معك: كيف تفوتك تلك الحقيقة؟ والآثار المصرية، والعمارة، والفنون المصرية القديمة، داخلةٌ في صلب اختصاصك، وكيف يفوتك أن أي عدوان على الرُّوح الدينية في مصر هو هدم للذات المصرية، وتغريب لها، وتدنيس لنقائها، وتشويه لفطرتها التوحيدية الخالصة؟

---

[1]- ينظر: هل هو عصر الجنون؟ د. مصطفى محمود ص٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢. باختصار.

ثم ما هذه العلمانيةُ في حقيقتها؟ إنها غزو دخيلٌ مستوردٌ، جاء مع الحملة الفرنسية والاحتلال الانجليزي، والتبشيرِ الشيوعيِّ الماركسيِّ، والاستعمارِ الاقتصاديِّ الأمريكيِّ، فهو غزو أجنبي بالكلية من الرأس إلى القدم، والذين يحملون لواء العلمانية في بلادنا هم أبواقٌ لهذا الغزو الثقافي الأجنبي، على اختلاف فرقهم وأجناسهم"[1].

هكذا كان –رحمه الله– في وجوه المناوئين لَلثقَافة الدينية، والهوية الإسلامية.

**ثانيا: أهمُّ الاعتراضات الموجَّهة للدكتور مصطفى محمود –رحمه الله–:**

على أن الإنسان لم يبلغ الكمالَ في كلِّ حياته أو جميع مجالاته، وإنما لا بد أن يعتريه النقص، فكانت هنا ك بعض المآخذ التي أُخذت على الدكتور مصطفى محمود –رحمه الله– ، وذكر هذه المآخذ ليس من باب التشهير به، وإنما كان تحذيرا للقُراء والكُتّاب، بحيث لا يغترُّون بها حين قراءاتهم، ولا يقعون فيها حين كتاباتهم، فهي من باب:

تعلمت الشرَّ لاَ للشرِّ لكن لتوقيه ... ومن لم يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه

وهذه الاعتراضاتُ ليستِ هي القشَّةُ التي تقصم ظهر البعير، إذ لا تقلِّل من شأنه، ولا تنقص من قدره، وإنما هي هناتٌ وهفواتٌ سهى فيها قلمه، وقصر عنها فكره وعلمه، وإلا فهي قليلةٌ معدودةٌ، وكفى بالمرء نبلاً أن تعدّ معايبه، ثم إن له من الحسنات ما يشفع ويغفر.

على أنني قد تناولت جزءا من هذه الاعتراضات على سبيل الإجمال، والآخر على سبيل التفصيل.

**أولا: أهمُّ الاعتراضات الموجهةُ إليه إجمالاً:**

١ . إكثاره من النُّقول عن التوراة والإنجيل، والاعتمادُ عليهما، والاستشهادُ بهما، خاصةً في تفسيره العصري للقرآن الكريم.

٢ . تضاربٌ في بعض أقواله وقضاياه، فتارةً يذكر قولاً في موطنٍ، ثم يذكر ما يتضارب معه في موطنٍ آخر، ولا أدري هل هذا رجوعٌ عن رأيه الأول؟ أم أنه ذَكَر خلافَ ما قاله سابقاً دون أن يدري؟ لم يصرح بذلك، حتى عد ذلك تضاربا[2].

---

[1]- الطريق إلى جهنم، د. مصطفى محمود ص٤٨ كتاب اليوم. بدون.

[2]- ينظر: شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، عبد المتعال محمد الجبري ص٣٣، ٣٤، دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣ . عدم توثيقه لما يكتب، ولا عزوه لما ينقل، ولا ذكره للمراجع التي استقى منها معلوماته، واستعان بها في كتاباته.

**ثانيا: أهمُّ الاعتراضات التي وجِّهت إليه تفصيلًا: تشكيكه في بعض الثوابت الدينية:**

اشتهر عن الدكتور مصطفى –رحمه الله– أنه كان دائما ما يميل إلى المدرسة العقلية، وهي التي تقدم النصَّ على العقل –عادة–، وهو أمر غير مستحسن عند أهل العلم، خاصة حين يستعمل في الثوابت الدينية، والقضايا الإسلامية، التي ليس للعقل فيها رأي أو مجال.

وقد وقع كاتبنا –غفر الله له– في هذا المأزق، وخاض في بعض قضايا الدين بعقله، فأخطأ تارة وأصاب أخرى، حتى امتدّت إليه أصابع الاتهام، بأنه غير متخصص، أو أنه لا يزال على إلحاده القديم، إلى غير ذلك من الاتهامات.

ومن أبرز تلك الثوابت التي اتُّهم بها كاتبنا –عليه رحمات الله– كانت السنةُ النبويةُ، إذ كان له موقفٌ منها غير سديد، أنكره عليه العلماءُ وأهلُ الفنّ والتخصُّص، حيث أنه ردّ أحاديث صحيحة بحجة أن الله –تعالى– لم يحفظ السنة كما حفظ القرآن، وأن كُتبها مليئةٌ بالإسرائيليات والكذب الصُّراح المدسوس على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[١]، وأنها متعارضةٌ مع آيات القرآن الكريم في ما يربو على الثلاثين موضعا[٢].

كما أنه –رحمه الله– شنّ هجوما شرسا على رواة الحديث والمحدثين، وتناولهم بحرب ضروس عاتية، على أنهم بشر غير معصومين، ونقلوا الحديث عن بشر غير معصومين أيضا، في سلسلة من العنعنات عبر عشرات السنين، بالرغم من أن النبي –صلى الله عليه وسلم– نهاهم عن كتابة الحديث، على أن البخاريَّ –رضي الله عنه– كتب الأحاديث بعد وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم– بأكثر من مئتي سنة، وأن المسلمين قبله كانوا يعيشون أزهى عصورهم، وكانت الفتوحات الإسلاميةُ قد اقتحمت التاريخ طولا وعرضا، وبدّلت

---

[١]- ينظر: الشفاعة ص٢٥، ٢٦.

[٢]- ينظر: المرجع السابق ص٣٥، ٣٦. وكتاب: إسرائيل النازية ولغة المحرقة، د/ مصطفى محمود ص١٦٢، ١٦٣. دار أخبار اليوم قطاع الثقافة. بدون.

الخريطةُ الجغرافيةُ للكرة الأرضية، وسجلت الفروسيةُ العربيةُ أعظم البطولات، كلّ هذا قبل البخاري، وقبل الأحاديث المدوَّنة، وبالقرآن وحده[١].

وكان لنظرته هذه في السنة أثر كبير في كتاباته، فقد أنكر على إثرها كلّ أحاديث الشفاعة، كما ردّ بها حادثة سحر النبي –صلى الله عليه وسلم–، ورهنه درعه عند اليهودي[٢]، وهذه كلُّها من جملة الثوابت الإسلامية الراسخة عند أهل السنة والجماعة.

من هنا اتُّهم –رحمه الله– بإنكار السنة، وبدأ الكُتّاب يكتبون عنه يمنةً ويسرة، حتى نال منه المغالون فكفّروه[٣]، والغيورون فعنفوه[٤]، والمتوسطون فنصحوه ووجهوه[٥]، غير أني أرى أنه لم ينكر السنة، ولم يردّها ردًّا كليًّا، وإنما ردّ منها ما يظنُّه متناقضا مع القرآن، زعم، أو ما يتعارض مع عقله، ولا يتوافق مع رأيه، وإلا فقد ذكر أحاديث كثيرة، في مواطن شتى، على سبيل الاستشهاد بها، والاحتكام إليها، فلو كان قد أنكر السنة لكان أنكرها في كلّ مقالاته، ولم يستشهد بها في كتاباته.

---

[١]- ينظر: الشفاعة ص٨٧، ٨٨، ٩٩، ١٠٠.

[٢] ينظر: كتاب الشفاعة.

[٣]- قال الكاتبُ –رحمه الله- عن ذلك: "ولكن هواة الشجار ما زالوا يتشاجرون، ويقذفون بالتُّهَم بلا مناسبةٍ، فنحن خوارج، ونحن منكرون للسنة، ونحن مثيرون للفتنة، واتَّهَمَنَا المسرفون بالكفر، ونحن ما كَفَرنا، ولا خَطَرَ لنا الكفرُ على بالٍ". الشفاعة ص٩٣.

[٤]- كان من ذلك د/ عبد المهدي عبد القادر –رحمه الله- أستاذ ورئيس قسم الحديث، بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر بالقاهرة الأسبق، وذلك في كتابه: (الرد على د/ مصطفى محمود في إنكار الشفاعة)، جاء فيه: "واضحٌ من أسلوبك أنك بعيدٌ عن هذا التخصُّص، أعني تخصُّص الحديث وعلومه، فتقول: مروياتُ الأحاديث النبوية في كُتُب السيرة، ومعروفٌ عند عوام المسلمين فضلا عن المتخصصين أنه للسنة كُتُبُها، وللسيرة كُتُبُها، وكم عندك من تخليطاتٍ مثل ذلك، إذا اتسع المقامُ ذكرتُها، لكن أقولُ: ما دمتَ لستَ من المطلعين بهذه العلوم؛ فلمَ التهجُّمُ، وحشرُ النفس فيها؟ ... هذا كلامٌ لا يقولُهُ من له أدنى ثقافةٍ إسلاميةٍ، فإذا كانت هذه ثقافةُ الدكتور مصطفى الإسلامية؛ فبالله أرحنا منك، عجبتُ لك تتكلمُ في أمورٍ دقيقةٍ –الشفاعة، والسُّنة، والبخاري، وتفسير القرآن- وأنت لا تعرفُ ألف باء الثقافة الإسلامية، ولستَ صاحبَ حسٍّ إسلاميٍّ ...". الرد على د/ مصطفى محمود في إنكار الشفاعة ص١٧، ٢١، ٢٢.

[٥]- ومن ذلك د/ عبد العظيم المطعني –رحمه الله-، جاء فيه: "فالله يقول في قرآنه: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}** (سورة النحل الآية رقم ٤٤) وتبيينُ الرسول –صلى الله عليه وسلم- هو أقوالُهُ وأفعالُهُ وأخلاقُهُ وسلوكُهُ، ورفضُ السنة يفتحُ بابًا لفتنٍ لا آخر لها، ويهدمُ أصل الدين كله، فهل عَرَفنا الصلاة وإقامتها، والزكاة ومصارفها، والحج وشعائره إلا من السنة؟ ولو اكتفينا بالقرآن لما عرفنا شيئًا من هذا ... والقرآنُ ككُلٍّ، مضافًا إلى السنة ككُلٍّ؛ ضروريان معًا لفهم الدين، ولفهم هذه القضية بالذات". ينظر كتاب: الشفاعة ص٧٢، ٧٣.

رحم الله كاتبنا الكريم، وجعله عنده في المهديين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا ... آمين.

**وفي نهاية المطاف أخلُص إلى هذه النتائج:**

١. يعدُّ د. مصطفى محمود –رحمه الله– قامةً متميزةً من قامات الفكر والثقافة الإسلامية، الذين جمعوا بين العلم والفلسفة والطب، والذين أفادوا المكتبة العلمية الإسلامية بالعديد من الكتابات التي تجمع بين العلم والإيمان، وتدعو للعلم والعمل معا، وتحث على إعمال العقل، فهو من الشخصيات التي يندر تكرارها في المجتمع.

٢- يعدُّ د. مصطفى محمود –رحمه الله– من الشخصيات المثيرة للجدل، والتي لاقت آراؤهم ردود فعل واسعة النطاق على المستوى الفكري والديني، والثقافي والأدبي، ما بين مؤيِّد له أو منكر عليه.

٣- تميز د. مصطفى محمود –رحمه الله– بعدم تأثُّره بالأفكار الوافدة، ولا الثقافات الغربية المختلفة، بالرغم من كثرة سفره لبلادهم، وقراءته لكتبهم، بل كانت له مواقف محمودة، دافع فيها عن الإسلام، ونادى فيها بالقيم والأخلاق، وأشاد فيها بالثقافة الإسلامية، وعمل على نشرها وذيوعها بين أوساط القراء والمثقفين.

٤- استطاع الكاتب –رحمه الله– أن يقدِّم الفكر الإسلامي في صورة سهلة ميسّرة، بعيداً عن الألغاز والتكلّف، معتمداً في ذلك على ملكاته العقلية، وموروثاته الأدبية، فوصل بالقارىء إلى النتيجة المرجوة من أقصر طريق.

٥- بيَّن –رحمه الله– في أكثر من موضعٍ عدم تعارض العقل مع النقل، وأن الوحي إنما جاء ليحفظ العقل عما قصر عنه تفكيره من أمورٍ غيبية، وأنّ الغيب بأنواعه لا سبيل للإيمان به إلا من خلال الوحي.

٦. أكّد –رحمه الله– في كثيرٍ من كتاباته أن قضايا الدين لا تناقُض بينها وبين نظريات العلم الحديث، وأن الفجوة المصطنعة بينهما لا وجود لها في الإسلام، إذ أن رسالة الإسلام هي رسالةُ العلم والتعلّم.

٧- تبين لي من خلال هذه الدراسة أن الإلحاد الذي عاش فيه د. مصطفى محمود –رحمه الله– لم يكن إلحاد جحودٍ وإنكار، بقدر ما كان إلحاد بحثٍ عن حقيقةٍ غابت عنه في غياهب

الحياة المادية والفلسفية، التي كانت تحيطُ به من كلِّ جانبٍ، وإلا فقد رجع عن هذا الإلحاد بمجرد وقوفه على تلك الحقيقة المنشودة.

٨- ثبت لي أن الكاتب -رحمه الله- كانت له نزعةٌ صوفيةٌ، إلا أنها كانت نزعةً منضبطةً، أَوغَلَ فيها برفقٍ، وقرأ لأقطابها بتحرُّرٍ، فنقل عن محيي الدين بن عربي، والنفري، بينما انهال على الحلاّج نقدا، وأنكر عليه أقواله الشاذّة، كقوله بالاتحاد والحلول.

٩. تبين لي أن د. مصطفى محمود -رحمه الله- كان أحد رواد المدرسة العقلية الحديثة، والتي تقدِّم العقل على النص -غالبا- ، ظهر هذا في تعامله مع خصومه، حين قام بتفنيد آرائهم، ونقضِ قضاياهم ونظرياتهم، والحرصِ على الردِّ عليهم ومحاوراتهم.

١٠- توصَّلت إلى أن هناك الكثير من القضايا الإسلامية التي وافق فيها الكاتب -رحمه الله- أهلَ السنة والجماعة، إلا أن القضايا التي خالفهم فيها قد اتّفق فيها مع جمهور المعتزلة، وتوافقت آراؤه مع آرائهم، غير أني أحسبه أنه لم يتعمد ذلك أو يقصده، وإنما هي خبطةٌ عشوائيةٌ فأصابت.

١١- تبين لي أن الكاتب -رحمه الله- كان يرى أن المصدر الوحيد للتشريع هو القرآن، والقرآن فقط، أما السُّنة فكان لا يأخذُ منها إلا إذ توافقت مع القرآن الكريم، واتّحدت مع معناه، أما ما تناقض معها أو تعارض -على حسب ظنه- فمردودٌ غير مقبولٍ.